محمد ابراهيم ابو سنه

لماذا تموت بعيدا عن الحلم

بعيدا عن الحلم تسقط ، ترحل عيناك في الدمع ..
... خلف الينابيع ، خلف اليمام ...
الذي كان يؤنس عش الطفولة
وخلف الصراخ الذي يبحر الان في الموج ..
... بين رماد الاصيل وبين السيوف
وفوق جبين الفسق ..»
تخبيء في الغيم شوقا
وتدفن تحت الهشيم
عواصفك الليناات
وترخي على القلب اغصانك اليابسات
وحين تجيء الدموع
تنقب عما اضعت
بقايا ملائكة في التراب
ونهر تخاذل وارتاع من رحلة فوق حد الصخور
فظل يناور حتى يعود غديرا صغيرا
فمجرى حقيرا فمات ..
فأصبح ملء الزجاجة.
وها أنت تبقى يعاف الذباب المكان
الذي انت فيه
ويأتي الظلام فتسكب وحدك دمع اقترانك باليأس
تنبح صوبك كل الكلاب
وصوت الغراب
يرن بأعماق روحك
يطلب منك المثول
امام قضاة المغول
وأنت تخون الصبي الوحيد الذي كان مثلك
تزف المرايا الى وجهك الان عينيه
ـ ينكر منك الملامح
وينكر صوتك
وكان يقودك بين النجوم
ويهوي الى المدن الآسنة
يهز البحيرات في الصيف
يقرأ كل الطوالع
« لعل المدينة ـ تلك التي كنت تطلبها
كي تكون على الارض
عاصمة للجمال
تلوح على ساحل البحر ضوءا لكل السفن
وجسرا الى الغد يمتد وسط العواصف
وساحة عدل لمن يطلبون النجاة من الظلم ..
...لا يملكون سوى الدمع تحت سياط الطغاة
لعل المدينة تولد من صرخة للجياع
لتبعث هذي الجذور التي يركض الموت فيها
ليفرح كل الحزانى ..
ويملك فيها المحبون وقتا
لفرس الزهور وقطف القبل
لعل المدينة تولد ..
وكيف ستولد هذي المدينة ؟
وأنت تخون الصبي الوحيد الذي كان مثلك
وتبدأ في الصمت والموت ترضى
يحاورك الدود عبر الفصول
تدافع بالخوف عن موتك المستحيل
وماذا تقول ؟
وأنت ترنحت بين الجحيم وبين المقابر
وخفت من النار فانقض ..
... فصل الثلوج عليك
وخفت من الدم : هذا الهوان
يطوف المدينة
يشهّر باسمك ، يسمل منك العيون
. . . . . .
. . . . . .
وكيف ستولد هذي المدينة
وأنت تموت بعيدا عن الحلم ..
... تخفض رأسك للسيف والورد تركن
لليأس ـ تملأ وحدك هذا الهواء
بأناتك الذابلات
وتغرق في الوهم ..
تزعم انك تمضي
لرفع الجدار عن الشمس والبحر والغابة المورقة
وتبني من البرق سورا لهذي العواصم
. . . . . .
تموت وما زلت تحلم بالمدن القادمة
فدع صوتك الان يصبح سيفا
ووجهك سارية للسفينة
ودع صوتك الان يذهب للفقراء
طعاما ، وسادا ، وأمنا ، وموتا
اذا كان لا بد من مستحيل لدرء المذلة
ودع صوتك الان ينهض يرفعه
للنجوم الغضب
لعل المدينة تولد في الليل ..
تحت الظلام الثقيل
وينهض من قبره الحلم
يمشي الى المستحيل

القاهرة